الفونولوجية في العربية بين التوجيه القرآني والتحليل الصوتي: دراسةٌ تحليلية لظاهرة الهمزة من خلال كتابه الموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم

Phonology in Arabic between Qur'anic Orientation and Phonetic Analysis: An Analytical Study of the Hamzah Phenomenon through Ibn Abi Maryam's Book Al-Muwaddih fi Wujuh al-Qira'at wa 'Ilaliha

د. عثمان حسن عثمان: أستاذ مساعد في علم اللغة، قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإنسانية والآداب والإعلام والفنون، جامعة الملك فيصل بتشاد.

Dr. Ousmane Hassane Ousmane: *Assistant Professor of Linguistics, Department of Arabic Language, Faculty of Humanities, Literature, Media, Arts, and Communication, University of King Faisal in Chad.*

Email: Ousmanehassane5450@gmail.com

DOI https://doi.org/10.56989/benkj.v6i6.1954

تاريخ الاستلام: 2026-02-01 تاريخ القبول: 2026-04-03 تاريخ النشر 2026-06-01

المستخلص:

تتناول هذه الدراسة ظاهرةً فونولوجية في العربية من خلال التفاعل بين التوجيه القرآني والتحليل الصوتي، متخذةً من ظاهرة الهمزة نموذجًا تطبيقيًا، وذلك بالاستناد إلى كتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم، ويهدف البحث إلى إبراز الكيفية التي عالج بها علماء القراءات هذه الظاهرة الصوتية، وربطها بالقواعد الفونولوجية من جهة، وبالتوجيه القرآني وضوابط الأداء من جهة أخرى، بما يكشف عن عمق التراث العربي في استيعاب القضايا الصوتية وتحليلها. وقد تبيّن من خلال الدراسة أن التراث اللغوي العربي، سيما ما ارتبط بالقراءات القرآنية، قدّم تصورًا عميقًا ودقيقًا للظواهر الصوتية، يقترب في كثير من أبعاده من التصورات الحديثة في علم الأصوات، إذ شكّلت ظاهرة الهمزة نموذجًا ثريًا للكشف عن التفاعل بين البنية الصوتية للنص القرآني ومراعاة التيسير في الأداء، وهو ما تجلّى في تنوع أوجه التحقيق والتخفيف والحذف والإبدال، كما أظهر تحليل كتاب الموضح أن توجيه القراءات لم يكن قائمًا على النقل المجرد فحسب، بل كان مؤسسًا على تعليل صوتي ولغوي دقيق، يراعي خصائص الجهاز النطقي وقوانين التخفيف ومقتضيات السياق الصوتي. وأخيرًا، توصي الدراسة بتوسيع الدراسات التي تربط بين القراءات القرآنية والنظريات اللسانية الحديثة، والعناية بإعادة تحقيق كتب القراءات وفق مناهج علمية حديثة، وتوظيف التقنيات الرقمية في تحليل الأداء القرآني.

الكلمات المفتاحية: الفونولوجية، الهمزة، القراءات القرآنية، التوجيه القرآني، التحليل الصوتي، ابن أبي مريم، الموضح في وجوه القراءات وعللها، التراث اللغوي العربي، التخفيف والإبدال، علم الأصوات، علم الأصوات الحديث.

Abstract:

This study examines a phonological phenomenon in Arabic through the interaction between Qur'anic orientation and phonetic analysis, using the phenomenon of the hamzah as an applied model based on Ibn Abi Maryam's book Al-Muwaddih fi Wujuh al-Qira'at wa 'Ilaliha, aiming to highlight how Qur'anic readings scholars treated this phonetic phenomenon, linking it to phonological rules on one hand and to Qur'anic orientation and performance standards on the other, revealing the depth of Arabic heritage in understanding and analyzing phonetic issues. The study found that the Arabic linguistic heritage, particularly that related to Qur'anic readings, presents a profound and precise understanding of phonetic phenomena that aligns in many respects with modern phonology, as the hamzah phenomenon proved to be a rich model for revealing the interaction between the phonetic structure of the Qur'anic text and considerations of ease in performance, manifested in variations of articulation, lenition, deletion, and substitution, while the analysis of Al-Muwaddih also showed that guiding readings was not based solely on transmitted knowledge but on precise phonetic and linguistic reasoning, considering the characteristics of the articulatory system, the rules of lenition, and the requirements of phonetic context. Finally, the study recommends expanding research linking Qur'anic readings to modern linguistic theories, paying attention to re-editing Qur'anic readings books according to modern scholarly methods, and employing digital technologies in analyzing Qur'anic performance.

Keywords: Phonology, hamzah, Qur'anic readings, Qur'anic orientation, phonetic analysis, Ibn Abi Maryam, Al-Muwaddih fi Wujuh al-Qira'at wa 'Ilaliha, Arabic linguistic heritage, lenition and substitution, modern phonology.

المقدمة:

تُعَدُّ الفونولوجيا من أبرز المستويات اللسانية التي اهتمت بدراسة الأصوات اللغوية من حيث وظائفها وأدائها داخل البنية اللغوية، وقد حظيت اللغة العربية بعناية فائقة في هذا المجال منذ العصور الأولى، ولا سيما في ظل ارتباطها الوثيق بالقرآن الكريم الذي شكّل منطلقًا أساسًا لجهود العلماء في تقعيد الظواهر الصوتية وضبطها. وقد أسهم علماء القراءات والتجويد والنحو واللغة في بناء تصورٍ علمي دقيق للظواهر الصوتية العربية، مستندين في ذلك إلى الأداء القرآني والرواية المتواترة، الأمر الذي أتاح نشأة معالجة صوتية مبكرة سبقت كثيرًا من التصورات اللسانية الحديثة.

فالهمزة من بين الظواهر الفونولوجية التي استأثرت بعناية العلماء؛ لما اتسمت به من خصوصية صوتية وتعقيد في النطق وتنوّع في الأداء، حيث تباينت طرائق العرب في تحقيقها وتخفيفها وإبدالها وحذفها تبعًا للسياقات الصوتية واللهجية المختلفة. وقد انعكس هذا التنوع في كتب القراءات والتوجيه اللغوي، فغدت الهمزة ميدانًا خصبًا للدراسة الصوتية والتحليل الفونولوجي، يجتمع فيه البعد القرآني مع الوصف اللغوي الدقيق.

ويُعَدُّ كتاب «الموضح في وجوه القراءات وعللها» لابن أبي مريم من المصادر التراثية المهمة التي تناولت الظواهر الصوتية في القراءات القرآنية معالجةً تحليليةً قائمةً على التعليل اللغوي والصوتي، إذ قدّم المؤلف تفسيرًا لوجوه الأداء القرائي وربطها بالأصول الصوتية والاستعمالات العربية الفصيحة، مما يكشف عن وعيٍ مبكر بالقوانين الفونولوجية التي تحكم النظام الصوتي العربي. وتبرز أهمية هذا الكتاب في كونه يجمع بين الرواية القرآنية والتحليل اللغوي، ويُظهر مدى إسهام علماء القراءات في تأسيس الدرس الصوتي العربي.

وانطلاقًا من ذلك، تسعى الدراسة إلى تمحيص ظاهرة الهمزة في ضوء التفاعل بين التوجيه القرآني والتحليل الصوتي، من خلال الوقوف على صورها المختلفة في كتاب «الموضح في وجوه القراءات وعللها»، وتحليل العلل التي ساقها ابن أبي مريم في تفسير ظواهر التحقيق والتخفيف والإبدال والحذف، مع محاولة ربط تلك المعالجات بالمفاهيم الفونولوجية الحديثة.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في الكشف عن طبيعة العلاقة بين التوجيه القرآني والتحليل الصوتي في معالجة الظواهر الفونولوجية في اللغة العربية، ولا سيما ظاهرة الهمزة، بوصفها من أكثر الظواهر الصوتية تعقيدًا وتنوعًا في الاستعمال القرآني واللغوي. فعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت القراءات القرآنية أو التحليل الصوتي كلٌّ على حدة، فإن الربط بينهما في إطار فونولوجي

متكامل ما يزال بحاجة إلى مزيد من البحث والتأصيل، خاصة من خلال كتب التراث التي جمعت بين الرواية والتحليل اللغوي.

ومن هنا تنطلق الدراسة من محاولة الإجابة عن الإشكالية الرئيسة الآتية:

كيف عالج الموضح في وجوه القراءات وعللها لـابن أبي مريم ظاهرة الهمزة في ضوء التوجيه القرآني والتحليل الصوتي؟

تتمثل مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

1. ما مفهوم الفونولوجيا في العربية، وما طبيعة ارتباطها بالتوجيه القرآني والتحليل الصوتي؟
2. كيف تناول ابن أبي مريم ظاهرة الهمزة في كتابه الموضح في وجوه القراءات وعللها؟
3. ما أبرز الصور الفونولوجية للهمزة الواردة في القراءات القرآنية؟
4. ما الأسس الصوتية والفونولوجية التي اعتمدها ابن أبي مريم في تفسير ظواهر الهمزة، مثل التحقيق، والتسهيل، والإبدال، والحذف؟
5. كيف أسهم التوجيه القرآني في ضبط الأداء الصوتي للهمزة وتوجيه القراءات المختلفة؟
6. إلى أي مدى تكشف معالجة ابن أبي مريم لظاهرة الهمزة عن وعيٍ فونولوجي مبكر لدى علماء القراءات؟
7. ما أوجه الاتفاق والاختلاف بين التحليل الصوتي التراثي للهمزة وبعض التصورات الفونولوجية الحديثة؟
8. ما القيمة العلمية التي يمكن أن تضيفها هذه الدراسة إلى مجال الدراسات الصوتية والفونولوجية العربية المعاصرة؟

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي القائم على استقراء نصوص ابن أبي مريم المتعلقة بالهمزة، وتصنيفها وفق مستوياتها المختلفة (تحقيقًا، وتخفيفًا، وإبدالًا، وحذفًا)، ثم تحليلها في ضوء المعطيات الصوتية الحديثة، مع الاستعانة بالمنهج المقارن عند الحاجة لمقابلة آرائه بآراء علماء القراءات واللغويين الآخرين. كما وظّفت الدراسة المنهج التأصيلي لإبراز الأسس التي يقوم عليها التوجيه القرآني في معالجة الظواهر الصوتية.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى إبراز القيمة العلمية للتراث القرائي في إثراء الدراسات الصوتية المعاصرة، والكشف عن الجهود المبكرة لعلماء العربية في فهم البنية الصوتية للغة، وتحليلها وفق منهج علمي

دقيق. وكذلك تتبع أثر الإسهامات القرائية في تطوير المفاهيم الصوتية الحديثة، وبيان أوجه الاستفادة من تلك الإسهامات في بناء نظريات صوتية متكاملة، ورصد العلاقة بين التراث القرائي والدرس اللغوي المعاصر، مع تقديم نموذج تحليلي يُظهر مدى عمق الرؤية العلمية عند علماء القراءات في تناول الظواهر الصوتية، كالإدغام، والإخفاء، والقلقلة، والمد، وغيرها من الأحكام التجويدية التي تُعنى بخصائص الأصوات ومخارجها وصفاتها. وتخلص الدراسة إلى تأكيد أصالة المنهج العربي في البحث الصوتي، وإلى ضرورة الاستفادة من التراث القرائي بوصفه راف

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذا الموضوع من كونه يربط بين التراث اللغوي العربي والدراسات اللسانية الحديثة، ويكشف عن العمق العلمي الذي بلغه علماء العربية في تحليل الظواهر الصوتية، الأمر الذي يسهم في إعادة قراءة التراث القرائي قراءةً لسانيةً معاصرة، تُبرز أبعاده العلمية والحضارية في خدمة اللغة العربية والقرآن الكريم.

أولاَ: تحقيق الهمزة:

يُعدّ تحقيق الهمزة من أبرز الظواهر الصوتية في العربية، ويقصد به النطق بالهمزة نطقًا تامًّا صريحًا من مخرجها دون تخفيف أو تغيير. والهمزة صوت حلقي شديد، يخرج من أقصى الحلق، ويتسم بالانفجار والانقطاع، مما يجعله من الأصوات المتميزة في البنية الفونولوجية للعربية.

ويكتسب تحقيق الهمزة أهمية خاصة في القراءات القرآنية، إذ يُعدّ أحد الأوجه المعتمدة في الأداء، حيث يلتزم القارئ بإخراج الهمزة على أصلها كما وردت في الرواية، دون إبدال أو تسهيل. ويظهر ذلك في نحو: ﴿أَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ و ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ حيث تُنطق الهمزة محققة واضحة.

وقد تناول علماء العربية والقراءات هذه الظاهرة بالدراسة، فبيّنوا مواضع تحقيق الهمزة وأحكامها، وربطوا ذلك بطبيعة النطق العربي الفصيح، وبما يحقق سلامة الأداء ودقته. كما نظروا إليها من زاوية صوتية، فعدّوها من الأصوات الشديدة التي تتطلب جهدًا عضليًا أكبر عند النطق، وهو ما يفسّر لجوء بعض اللهجات أو القراءات إلى تخفيفها في مواضع معينة.

وعليه، فإن تحقيق الهمزة يمثل الأصل في نطق هذا الصوت، بينما يُعدّ التخفيف أو الإبدال خروجًا عن هذا الأصل لأسباب صوتية أو أدائية، وهو ما يكشف عن مرونة النظام الصوتي في العربية وتنوعه.

1) عرض وتحليل

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 20]

جاء فها السكتة على (شَيْءٍ) أي وقفة بسيطة على كلمة (شيءٍ) ثم يتلفظ بالهمز ويرى ابن أبي مريم أن حمزة يفعل في كل همزة قبلها ساكن، سواء كانت من كلمة أو كلمتين، فيسكتُ على الساكن قليلاً ثم يهمز نحو: (الأرض، الآخرة، قد أفلح...) وإنما أراد بهذه السكتة تحقيق الهمزة وتوضيحها، لأنه إذا وقف عليها وقفة صارت الهمزة بحيث لا يجوز فيها إلا التحقيق، لأنها تصير كالمبتدأ بها والهمزة إذا ابتدئ بها حققت: (ابن أبي مريم، الموضح، ج1، ص261).

كما جاء فيها من غير وقف وحركة الهمزة فيها ملقاة على الساكن الذي قبلها فعند بعض أوجه التخفيف تُنقل حركة الهمزة . وهي الفتحة . إلى الدال الساكنة قبلها، فتُقرأ نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: 1]، بتخفيف الهمزة بعد نقل حركتها إلى الساكن السابق إلا أن يكون الساكن واواً قبلها ضمة أو ياءً قبلها كسرة، نحو: ﴿قَالُوا أَنْصِتُوا﴾ [الأحقاف: 29] ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ [الذاريات: 21]. فالقياس في تخفيف الهمزة المتحركة أن يكون قبلها ساكن غير الألف فإن تَحوّل حركتها على الساكن قبلها سقطت الهمزة نحو: ﴿يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ [النمل: 25]، ولا يختلف الحكم بأن يكون ذلك من كلمة أو من كلمتين نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾[المؤمنون: 1].

2) مفهوم التحقيق عند المتقدمين:

يقول "الرضي": "والمُحققة مُطلقاً: هي الهمزة الواقعة في أول الكلمة المُبتدأ بها الكلام" (الرضي، شرح الشافية25/1) فالهمزةِ المحقَّقة هي متحرِّكة في الحقيقة فالمفتوحة في نحو :(سألَ) والمكسورةُ نحو في (سَئِمَ) والمضمومة في نحو :(لؤم) (ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص62) لأن أكثر ما يقع فيه يجوز فيه التحقيق والتخفيف، بل التخفيف مُطلقاً، يقول أبو زيد الأنصاري: "أهل الحجاز وأهل مكة لا ينبرون، ما أخذ من قوم تميم إلا بالنبر، وهم أصحاب النبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا" (الانصاري، تهذيب اللغة، ج1، ص693). فالمُخففة أنها الهمزة التي يجوز تخفيفها عند قوم مُطلقاً، بينما حققها آخرون، وأما ما اضطر أهل التخفيف إلى تحقيقه فهو في باب التحقيق.

فإذا سُكِّنت الهمزةُ وانفتحَ ما قبلَها وانفردت جازَ تحقيقُها نحو رأس وكأس جائز إبْدالها ألفاً تخفيفاً إلاَّ أنْ يقعَ ذلكَ في الشّعر مقابلاً لرِدْفٍ فإنَّه يلزمُ إبدالُها ألفاً لتستقيمَ الأرداف مثلُ فتقول راس وكاس وفي آخِرِ اخَرَ، فالإبدال في رأس لازمٌ لما ذكرنا وإنْ وقعَ في آخرِ بيت شعر مثل مأتم فالجيّدُ تحقيق الهمزةِ وقال بعضُهم يجوزُ إبدالُها فيكونُ بيت مؤسَّساً وبيتٌ غيرَ مؤسس في قصيدةٍ واحدة (العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، ج2، ص308).

3) الجانب الصوتي في تحقيق الهمزة:

فالهمزة المحققة إنما تنطق نتيجة التقاء تام يحدث إغلاقًا حين نطقها في أقصى الحنجرة يتبعه انفراج مفاجئ يصدر هذا الصوت الذي نعرفه بالهمزة، وهذا النطق يختلف اختلافًا أساسيًّا عن نطق الفتحة الطويلة، وهو ما يطلق عليه سيبويه "الألف". فالفتحة الطويلة إحدى الحركات، والحركات تختلف عن الأصوات الساكنة في اتساع مخرجها، وأنه لا يحدث ضيق شديد يسبب عقبة في سبيل تيار الهواء، فظهور العقبة ثم انفراجها من خصائص النطق بالأصوات الصامتة، أما الحركات فيمضي في النطق بها تيار الهواء من الداخل إلى الخارج دون عقبة، والهمزة من الأصوات الصامتة، ولكن الحركة الطويلة التي تكتب في الخط العربي بالألف ليست من الأصوات الصامتة (حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ص226).

ثانياً: تخفيف الهمزة

يُقصد بتخفيف الهمزة العدول عن تحقيقها الكامل إلى صورةٍ أخفّ في النطق، دفعًا لما تتسم به من ثقلٍ صوتي، باعتبارها صوتًا شديدًا مجهورًا يخرج من أقصى الحلق. ويُعدّ هذا التخفيف مظهرًا من مظاهر التيسير في النظام الصوتي العربي، حيث تميل العربية ـ خاصة في بعض اللهجات والقراءات ـ إلى تقليل الجهد العضلي المبذول في نطق الأصوات الثقيلة.

ويتخذ تخفيف الهمزة صورًا متعددة، من أبرزها: التسهيل بين بين "أي النطق بها بين الهمزة وحرف المد المجانس لحركتها"، والإبدال بحرف مد، والحذف في بعض السياقات الصوتية، وتظهر هذه الأوجه بوضوح في القراءات القرآنية، حيث وردت عن أئمة القراء وفق روايات ثابتة، تراعي انسجام النطق وسلاسة الأداء دون الإخلال بأصل الكلمة.

وقد عني علماء القراءات واللغة بتفسير ظاهرة التخفيف، فربطوها بعوامل صوتية كالتقاء الهمزتين، أو وقوع الهمزة ساكنة بعد متحرك، أو مجاورتها لأصوات معينة. كما أشاروا إلى أن التخفيف لا يُعدّ خروجًا عن الفصاحة، بل هو وجه معتبر من أوجه العربية، يعكس تنوع الأداء الصوتي ومرونته.

وبذلك، يمثل تخفيف الهمزة جانبًا مهمًا في دراسة الفونولوجيا العربية، إذ يكشف عن التوازن بين المحافظة على البنية الأصلية للكلمة، وتحقيق السهولة والانسجام في النطق.

1) عرض وتحليل

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾[سبأ: 14]

جاء فيها (مِنْسَأَتَهُ) بغير الهمز ووجه ذلك يرى ابن أبي مريم أنه آثر تخفيف الهمزة بقلبها ألفاً خالصة وليس القياس كذلك بل القياس يقتضي أن تكون الهمزة بين بين إلا أنهم خففوها من غير قياس والمنساة هي العصا ومنه قول أحدهم:

إذا دَبَبْتَ على المِنْساةِ من هَرَمٍ *** فقد تباعَدَ عنك اللَهْوُ والغَزَلُ

كما جاء فيها (مِنْسَأَتَهُ) بهمزة مفتوحة والوجه أنه هو الأصل لأن المنسأة (مِفْعَلَة) من قولهم نسأت الإبل إذا أخرجتها وزجرتها فأصل الكلمة بالهمزة.

وقد جاء فيها (منسأته) بهمزة ساكنة، والوجه فيه أن يمكن القراءة بها بين الهمزة والالف وهو القياس في تخفيف الهمزة، أعني أن تُجعل بين بين وقد عرض ابن ابي مريم في كتابه في فصله السابع قضية الهمزة وأحكامها.

2) حقيقة التخفيف أو التسهيل عند المتقدمين:

يقول سيبويه:"(نبى وبرية) فألزمها أهل التحقيق البدل وليس كل شيء نحوهما يفعل به وإنما يؤخذ بالسمع وقد بلغنا أن قوماً من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون (نبئ وبريئة)، وذلك قليل" (سيبويه، الكتاب، ج3، ص555) و (البرية) غير مهموز في اللغة الشائعة، لكن أصلها الهمزة من برأ الله الخلق أي إبتدأه (العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج2، ص1298)، فالبرية الخلق وأصله الهمزة، فقد قرأ النبي قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[الإسراء: 101]. بلفظ الماضي بغير همزة (فَسَالَ بني إسرائيل) وهي لغة قريش (أبو حيان، البحر المحيط، ج6، ص85)، فالهمزة لما كانت خارجة من أقصى الحلق استحبت العرب تخفيفها.

في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[المعارج: 1] يقول الزمخشري وقرئ (سَأَلَ سَائِلٌ) على وجهين: أما أن يكون من السؤال وهي لغة قريش يقولون (سلت تسال) وهما يتسايلان (أبو حيان، البحر المحيط، ج6، ص85)، ومن هنا قرأ نافع (سال) غير مهموز وقرأ الباقون (سأل) مهموزاً (ابن مجاهد، السبعة، ص65).

3) وجه التخفيف في الهمزة:

من خلال العرض المتقدم أدركنا أن الهمزة هي الأصل فما وجه التخفيف، فأوجه ترك الهمزة في القراءة ثلاثة: في نحو قوله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ ثلاثة أوجه:

- الأول: أن يكون من السؤال لكنه أبدل من الهمزة ألفاً من اللغة المسموعة فيه وتكون الهمزة في سائل أصلية.

- الثاني: أن يكون جعله من (سالت تسال) لغة في السؤال، كـ (خفت تخاف) فتكون الألف في سال بدلاً من واو كـ(خاف) وتكون الهمزة في سائل بدلاً من واو كـ(خائف).
- الثالث: أن يكون من (السيل) (القيسي، الكشف، ج2، ص334). كما يرى القرطبي من قرأ هذه الآية بغير همزة فله وجهان:
  - الوجه الأول: أنه لغة في السؤال وهي لغة قريش تقول العرب (سال يسال) نحو: (نال ينال وخاف يخاف).
  - الوجه الثاني: أن يكون من السيلان وهو رأي القرطبي (القرطبي، الجامع لإحكام القرآن، ج18، ص182).

4) الجانب الصوتي المتعلق بالهمزة المخففة:

يقول ابن جِنّي: "وأما الهمزة المخففة فهي التي تسمى همزة بَيْنَ بَيْنَ ... أي هي بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها، إن كانت مفتوحة فهي بين الهمزة والألف، وإن كانت مكسورة فهي بين الهمزة والياء، وإن كانت مضمومة فهي بين الهمزة والواو...، فالمفتوحة نحو قولك في سأل: سال والمكسورة نحو قولك في سئم: سيم والمضمومة نحو قولك في لؤم: لوم" (ابن جني، سرُ صناعة الإعراب، ج1، ص48).

فلصعوبة إخراج الهمزة والجهد العضلي الذي يوجبه عَمَدَ بعض الناس إلى هذا التساهل في نطقها، (العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، ج2، ص443). وسميت بَيْنَ بَيْنَ لخروجها من بين الحرفين حسب وقوعها، فإذا كانت مفتوحة فبين الألف والهمزة، لأن الألف ناشئة عن الفتحة، وأن كانت مكسورة فبين الياء والهمزة وإن كانت مضمومة فبين الواو والهمزة، بخلاف المحققة التي يبتدأ بها، إذ هي خفيفة لا تتحمل الابتداء.

ويرى أحد علماء التجويد أن "الهمزة إذا سهلت وجعلت بين بين أشير إليها بالصدر إن كانت مفتوحة، وإن كانت مكسورة جعلت كالياء المختلسة للكسرة، وإن كانت مضمومة جعلت كالواو المختلسة للضمة من غير إشباع، لذلك نجد منهم من يخرج الهمزة من النفس إخراجاً سهلاً بغير كلفة يألفه طبع كل واحد ويتحسسه أهل علم القراءة، وذلك المختار، ولا يقدر القارئ عليه إلا برياضة شديدة" (القيسي، التحديد في الإتقان والتجويد، ص97).

ومن المحدثين من يرى أن ظاهرة تسهيل الهمزة وتخفيفها منبعها اللهجات، فقد عَمِدت بعض اللهجات العربية إلى تسهيل الهمزة والفرار من نطقها محققة، لما تحتاج إليه حينئذ من جهد عضلي (أنيس، الأصوات اللغوية، ص90)، فتصير في النطق مجرد خفقة صدرية لا يصاحبها إقفال للأوتار الصوتية (حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ص53). ويرى غيره هي عبارة عن سقوط الهمزة من النطق ونطق الفتحتين قبلها وبعضها بسكتة لطيفة بينهما، فمحرج الهمزة المخففة عندهم

أصعب من غيرها من الحروف، فينبغي في إخراجها تعليق فم الحنجرة وهو مفتوح في غيرها، فينقطع الزفير المتواصل الخروج أثناء الكلام (ايراجستراشر، التطور النحوي، ص45)؛ يعني به عدم وجود قوة في هواء الزفير الخارج أثناء نطق الهمزة الثانية، مما يجعل الناطق يخفف هذه الهمزة فتكون همزة بين بين كما يكون في أأنت من قوله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾[الواقعة: 59] فإذا كانت الهمزة مفتوحة مكسور ما قبلها قلبت ياء وإذا كان مفتوحة مضموم ما قبلها قلبت واواً.

ثالثًا: حذف الهمزة

يُقصد بحذف الهمزة إسقاطها من النطق في بعض السياقات الصوتية، مع بقاء أثرها في البنية الأصلية للكلمة، ويُعدّ هذا الحذف مظهرًا من مظاهر التخفيف الصوتي في العربية، تلجأ إليه اللغة للتيسير وتقليل الثقل الناتج عن نطق الهمزة، بوصفها صوتًا حلقيًا شديدًا.

ويظهر حذف الهمزة في مواضع محددة تحكمها اعتبارات صوتية وصرفية، من أبرزها: وقوع الهمزة بين حركتين متقاربتين، أو مجاورتها لحروف المد، أو في سياق الاستعمال السريع للكلام. كما قد يرتبط الحذف ببعض اللهجات العربية القديمة، التي مالت إلى إسقاط الهمزة طلبًا للخفة والانسجام الصوتي.

ويُعدّ حذف الهمزة في القراءات القرآنية، أحد الأوجه المروية في بعض المواضع، حيث يُراعى فيه التلقي والرواية الثابتة، دون الإخلال بضبط الكلمة أو معناها. وقد تناول علماء القراءات هذه الظاهرة بالتحليل، فبيّنوا مواضعها وعللها، وربطوها بقواعد الأداء الصوتي وأصول العربية.

وعليه، فإن حذف الهمزة لا يُفهم على أنه خلل في النطق، بل هو ظاهرة صوتية مقنّنة تعكس مرونة النظام الفونولوجي في العربية، وقدرته على التكيف مع مقتضيات التيسير والانسجام في الأداء.

1) عرض وتحليل:

قال الله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[الكهف: 38].

جاء فيها (لَكِنّ) بتشديد النون من غير ألف في الوصل، فيرى ابن ابي مريم أن الأصل فيه (لَكِنّ أنا) فألقيت حركة الهمزة على النون الساكنة فحذفت الهمزة فبقي (لكننا) ثم أدغمت النون في النون فبقي (لكنا) فالألف في لكنا هي ألف أنا، وهي تسقط في الوصل وتثبت في الوقف وهو القياس (الموضح، ج2، ص783).

كما جاء فيها بإثبات الألف في الوصل والوقف ووجه ذلك أن يكون أصله (لكن أنا) فخففت همزة أنا، وتخفيفها أن تنقل حركتها إلى الساكن الذي قبلها وتحذف الهمزة فبقي لكننا بنونين مفتوحتين، ثم أدغمت النون الأولى في الثانية، فبقي لكنا والألف الساكنة الأخيرة من أنا تكون مثبتة في حالة الوقف محذوفة في حالة الوصل كما مر وهذه مثبتة على الأحوال كلها (النشر، ج2، ص311).

من الحذف المطرد حذف همزة أفعل من المضارع واسم الفاعل واسم المفعول في نحو: أَكْرَمَ يُكْرِمُ فهو مُكْرِمٌ ومُكْرَمٌ. والأصل أن يقال: (يُؤَكْرِم ومُؤَكْرِم ومُؤَكْرَمٌ) (الاستراباذي، شرح الكافية الشافية، ج4، ص2165)، لكن حذفت الهمزة من أكرم استثقالاً لتوالي همزتين في صدر الكلمة، ثُمَّ حُمِلَ على ذي الهمزة وأخواته، والْمُفْعِل والْمُفْعَل لتجري النظائر على سننٍ واحدٍ، ولم يستعمل الأصل إلاَّ في الضرورة نحو: قول الشاعر:

*** فإنَّهُ أَهْلٌ لأَنْ يُؤَكْرَمَا

(المبرد المقتضب، ج2، ص98).

وشذَّ قولهم في السعة: أرض مُؤَرْنِبَة ـ بكسر النون ـ أي: كثيرة الأرانب، وكذلك قولهم: كساء مُؤَرْنَب إذا خلط صوفه بوبر الأرنب.

فلو غيرت همزة " أَفْعَل" بقلبها هاءً أو عيناً لم تحذف للأمن من التقاء همزتين. ومن ذلك قولهم: (هَرَاقَ الماءَ يُهَرِيقُه فهو مُهَرِيق والماءُ مُهَرَاق، وَعَبْهَل الإبلَ يُعَبْهِلُهَا فهو مُعَبْهِلٌ والإبلُ مُعَبْهَلَةٌ)، أي: مُهْمَلة، واللسان (عبهل)..

2) لماذا الحذف؟

على الرغم من أنَّ الأصل في الهمزة التحقيق التي تكون هي عين الفعل من "أَرَأَيْتَ"، وما شابهه فإنّ لغة تسهيل همزة "أَرَأَيْتَ" بَيْنَ بَيْنَ، أو حذفها له ما يسوّغه وفقاً لقانون الجهد الأقل في الاستعمال اللغوي فالكلمة إذا كثر استعمالها واشتهرت اعتراها بعض التغيير، أو الحذف؛ لأنَّ كلمة "أَرَأَيْتَ" قد اجتمع فيها همزتان مفتوحتان بينهما حرفٌ مفتوحٌ أيضاً، وهذا أمر مستثقل، ويزيد من الثقل اجتماع هاتين الهمزتين في الفعل مع اتصاله بضمير الفاعل، فكان لا بدَّ من تخفيف الهمزة بتسهيلها بين الهمزة، والألف، أو حذفها طلباً للتخفيف ولم يمتنع تخفيف الهمزة بَيْنَ بَيْنَ مع أنَّ ما بعدها ساكن؛ لأنَّها في زنة المخفَّفة المتحركة (القيسي، الكشف عن وجوه القراءات، ج1، ص431).

رابعاً: إبدال الهمزة:

يُقصد بـ إبدال الهمزة تحويلها إلى صوتٍ آخر غالبًا من حروف المدّ (الألف، أو الواو، أو الياء) ومن غير الغالب في حرف العين والهاء وفق سياقات صوتية محددة، وذلك تخفيفًا لثقلها في النطق، فالهمزة صوت حلقي شديد، وقد تميل العربية في بعض المواضع إلى استبداله بصوتٍ أسهل انسجامًا مع ما قبله أو بعده من الحركات.

ويظهر إبدال الهمزة في حالات متعددة، من أبرزها: أن تُبدل الهمزة الساكنة حرفَ مدٍّ من جنس حركة ما قبلها، فتكون قلبها ألفًا بعد الفتح، أو واوًا بعد الضم، أو ياءً بعد الكسر، كما قد يقع الإبدال عند التقاء همزتين، حيث تُبدل الثانية تخفيفًا، لسلاسة النطق وتجنبًا لتوالي الأصوات الشديدة.

وفي القراءات القرآنية، يُعدّ إبدال الهمزة وجهًا معتبرًا من أوجه الأداء، وردت به روايات صحيحة عن القرّاء، ويخضع لضوابط دقيقة تضمن سلامة اللفظ وعدم الإخلال بالمعنى، وقد أفاض علماء العربية والقراءات في بيان علل هذا الإبدال، فربطوه بمبادئ التيسير الصوتي والانسجام الفونولوجي.

وعليه، فإن إبدال الهمزة يُبرز جانبًا من مرونة النظام الصوتي في العربية، حيث يجمع بين الحفاظ على البنية الأصلية للكلمة، ومراعاة سهولة النطق وجمال الأداء.

1) عرض وتحليل:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾[النور: 43]. جاء فيه (يُولِّفُ) بتسهيل الهمزة وفي هنا إبدال، حيث أن الهمزة المضموم ما قبلها إذا خُففت أبدلت واواً كما في التؤدة والجؤن قالوا فيهما التودة والجون بغير همز.

أما من حقق في (يُؤَلِّفُ) فهي على الأصل، عند ابن أبي مريم لأن الأصل في الهمزة التحقيق (ابن أبي مريم الموضح، ج2، ص918). فمن سنن العرب إبدالُ الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، أي جعل حرف مكان آخر، ومنه "مَدَحَه، ومدهه" و (وفَرسٌ رِفلٌ. ورِفنٌ) (بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص154) وهو كثير في كلامهم.

ففي الآية المتقدمة وفي كلمة (يُؤَلِّفُ) قالها بعضهم بالتسهيل فأبدلت الهمزة واواً وقد تكلم الصرفيون واللغويون حول الإبدال فيما يلي بيانه:

فالإبدال هو جعل حرف مكان آخر مطلقاً، فهو أعم يشمل الإبدال والإعلال فكل إعلال بالقلب إبدال، وليس كل إبدال إعلال كما أنهما يجتمعا في نحو:(صَام) إذ أصلها صَوَم وقد ينفرد الإبدال في نحو اصطنع واصلها اصتنع فأبدلت الطاء تاء.

وينقسم الإبدال إلى قسمين إبدال صرفي، وإبدال لغوي، فالإبدال الصرفي وهو إقامة مكان حروف معينة حروف أخرى بغية تغيير اللفظ وتسهيل نطقه، أو الوصول بالكلمة إلى الهيئة التي يشيع استعمالها مضبوطاً بقواعد الصنعة (السيوطي، المزهر، ج1، ص474).

وحروفها تسعة مجموعة في قولهم "هدأت موطيا" إذ عَد كثير من أهل التصريف حروف الإبدال اثني عشر حرفا، وجمعوها في تراكيب كثيرة: منها "طال يوم أنجدته"، وأسقط بعضهم اللام، وعدها أحد عشر، وجمعها في قوله: "أجد طويت منها"، وزاد بعضهم الصاد والزاي، وعدها أربعة عشر، وجمعها في قوله: "أنصت يوم زل طاه جد"، وعدها الزمخشري ثلاثة عشر، وجمعها في "استنجده يوم طال" (ابن الحاجب، الشافية في علم التصريف، ج1، ص109).

قال ابن الحاجب: هو وهم؛ لأنه أسقط الصاد والزاي وهما من حروف الإبدال، كقولهم: زراط، وزقر، في صراط وصقر، وزاد السين وليست من حروف الإبدال، فإن أورد "اسمع" "اذكر" و"اظلم"؛ فهو من باب الإدغام، لا من باب الإبدال المجرد، " (ابن الحاجب، الشافية في علم التصريف، ج1، ص109)، قد أجاز النحاة في "استخذ" أن يكون أصله اتخذ، فأبدلوا من التاء الأولى السين، كما أبدلوا التاء من السين في "ست" إذ أصله سدس، فلعله نظر إلى ذلك، والذي ذكره سيبويه أحد عشر حرفا: ثمانية من حروف الزيادة، وهي ما سوى اللام والسين، وثلاثة من غيرها، وهي الدال والطاء والجيم (سيبويه، الكتاب، ج1، ص383)، ولعلنا سوف نركز على إبدال الهمزة من غيرها لأن ما ناقشه ابن مريم متعلق به.

(أ) إبدالها من الألف:

فأما إبدالها من ألف المد فيما حكاه ابن جني عن أيوب السجستاني أنه قرأ: "ولا الضالين" فهمز بالألف وذلك أنه كره اجتماع الساكنين الألف واللام الأولى فحرك الألف فانقلبت همزة" (ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج2، ص80–88).

قرأ أيوب السجستاني بالهمزة (ولا الضألين)، بدل الألف خلافاً للجمهور وحجته في ذلك كراهية اجتماع الساكنين، هما الألف واللام الأولى، فحرك الألف فقلبت همزة لأنها أقرب الحروف إليها في المخرج، وهي لغة منتشرة في بعض قبائل العرب، ذلك أن كل ألف وقع بعدها حرف مشدد نحو: (ضالّ، دابّة، جانّ) هُمِزَت (العكبري، إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، ج1، ص8).

فلا يخفى على دارس الصرف أن المثلين يجب أن يدغما في حرف واحد، فالضالّين تحمل لامين الأولى ساكنة والثانية متحركة، (الضألْلِين)، وكما أن الألف كذلك لا تكون إلا ساكنة لضعفها وكان موقعها في كلمة الضالّين سابقة للام الأولى فاجتمع ساكنان، والألف حرف ساكن، إذا حُرك مال إلى أقرب المخارج إليه وهذا ما فعله السجستاني في قراءته حيث حركه فصار مهموزاً.

وقرأ الجمهور "الضآلّين" بالمد المشبع (زيدان، المرشد في علم التجويد، ص55)، والإشباع هو زيادة صوت من جنس الحركة، وقد عبر عنه ابن جِنّي (بمطل الحركة)، وكان علماء القراءات يمدون الحرف من حركتين إلى ست حركات، والمد في الضآلين عند القراء واجب (الجريسي، نهاية القول المفيد في شرح عمدة المجيد، ص103)؛ لأنه إذا لم يُمد لأجتمع الساكنان، (الألف واللام الأولى)، ولعل استفهاماً يلحق بقراءة الجمهور، هو هل المد جعل الألف متحركاً؟ لا بالفعل ولكن خففت من ظهوره، إذاً هنا إطالة الحرف واجبة، لدفع الالتباس، والإطالة في نظر الصوتيين سواء في الحرف الساكن أو المتحرك يمنح عندها الناطق فترة زمنية كافية للنطق، بحيث يستعد لنطق الحرف الذي يليه، إذاً القراءة المقطعية لقراءة الجمهور ﴿ولا الضآلّين﴾ هكذا:

ولا الضآلين= ص ح/ص ح ص/ ص ح ح ص/ ص ح ح ص.

أما في قراءة أبي أيوب السجستاني بالهمزة (ولا الضألين)، فقد أبدل العرب من الألف همزة في مواضع كثيرة، فعنده بدل من المد، خوفا من التقاء الساكنين، في الألف واللام الأولى. فإن أصل هذه ونحوها الضّاللون أي (الفاعلون)، من ضل يضل، فكره اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد على غير الصورة المحتملة في ذلك فأسكنت اللام وأدغمت في الأخرى فالتقى ساكنان الألف واللام الأولى المدغمة، فزيد في مدّة الألف واعتمدت وطأة المد فكان ذلك من تحرك الألف، لأن الحرف يزيد صوتاً بحركاته كما يزيد صوت الألف بإشباع مدته، (ابن جني، المحتسب، ص54–55)، والتعليل لقراءة السجستاني: هو أن الألف حرف ضعيف لا يقبل الحركة ولا يمكن الابتداء به.

أما الهمزة في كلمة "صحراء وبابها إنما هو بدل من ألف التأنيث" (ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص83). وهو قلب مطرد فالأصل في صحراء (صحراْ)، التقاء ألفين فيها، الأولى زائدة والثانية ألف التأنيث، ولا يمكن حذف أحدهما، لأن الكلمة مبنية على اجتماع ألفين، وفي حذف أحدهما لبس، فإذا حذفنا الثانية أزلنا منها علامة التأنيث، وإذا حذفنا الأولى انفردت الثانية، ومهما كان فإن الهمزة ستظهر في الطرف، فيُظن أنها جاءت للتأنيث، فلا يكون كذلك من جانبين:

- إن التأنيث الذي سيجري في هذا الموضوع بالألف والتاء كما في حبلى وحمزة، وإنا لم نر لهم تأنيثا بالهمزة.
- وقوع الإبدال في الجمع فقالوا في صحراء صحاري ولم نسمعهم أظهروا الهمزة ولو كانت الهمزة فيها غير منقلبة لجاءت في الجمع.

أما اتجاه الدراسات اللغوية الحديثة فقد كان موافقاً لما رأه ابن أبي مريم وما يحدث للكلمة من تغييرات حيث يرى عبد الصبور شاهين في صحراْ وغيرها إذ كان الأصل في الوقف هو السكون فإن معنى ذلك أن العربية تكره الوقف على مقطع مفتوح ولذلك تتجه إلى إقفاله بوسيلة ما، ومعنى ذلك أيضا أن نحو: (كساء، وبناء) وأمثالهما ينتهي المقطع الأخير من كل منهما بحركة هي أحد عنصري الحركة المزدوجة التي نشأت عنها الواو أو الياء، وهي حالة في الوقف، لا تتفق مع طبيعة النسق العربي، فآثر الناطق إقفال هذا المقطع المفتوح بإحلال الهمزة محل صوت اللين فلا سبيل للإبدال بل من أجل تصحيح نهاية الكلمة، والتي حذفت من أجل الهمزة فليس واواً ولا ياء وإنما هو ضمة أو كسرة، (شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص81).

(ب) إبدالها من الياء والواو وهما أصليان:

من خلال الحديث عن إبدال الهمزة من الياء والواو تبين أنها تحدث من ناحيتين للكلمة تدخل عليها الياء أو الواو وهي أصلية أو زائدة.

- الأولى: إذا كانت الواو أصلية، وانضمت ضماً لازماً فهمزها جائز (ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص92-98).

  كما في (وجوه، ووقتت) فقالوا فيها (أُجوه وأُقتت) فأبدلت الواو همزة.

- الثانية: ما يشمل الواو والياء في حكم وقوعهما لاماً للكلمة بعد ألف زائد في مثل: (قضاي، وكساو) (ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص92- 98).

ف (أُقّتت) التي أصلها (وُقّتت)، في حكم إبدالها همزة فالضمة قد تجرى مجرى الواو وهي واو صغيرة، كما أن الكسرة ياء صغيرة والفتحة ألف صغيرة (المنصف، ص199). وكلمة وُجوه أصلها أُجوه ينطبق عليها حكم أُقتت لأن أُقتت وأُجوه أصلهما الواو، فأبدلت الواو فيهما همزة، أما لفظا (كساو، وقضاي)، ففيهما الواو والياء أصليتان لكنهما متطرفتان وقعتا بعد ألف زائدة، فأبدلتا همزة (ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص92-98).

(ج) إبدالها من الياء والواو وهما زائدتان:

وأما إبدالها من الياء والواو وهما زائدتان فنحو قولهم علباء وحرباء" (سر صناعة الإعراب، ج1، ص92– 98). الهمزة الموجودة في آخر كلمتي علباء وحرباء زائدة فيهما، والحرف الزائد في الكلمة المعنية ليس فاءً ولا عيناً ولا لاماً، إذ إنها توزن على (فَعْلاء)، وقاعدتنا التي سبقت هي نفسها تدخل في كلمتي علباء وحرباء، إذاً هل أصلها ياء أو واو؟

الجواب عن هذا التساؤل: "أن العرب لما أنثت هذا الضرب بالهاء فأظهرت الحرف المنقلب لم تظهره إلا ياء وذلك نحو: (درحاية ودعكاية) فظهور الياء في المؤنث بالهاء دلالة على أن الهمزة إنما قلبت في (حرباء وعلباء) من ياء لا محالة (ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص92– 98).

فأصلها (علباي وحرباي) فأبدلت همزة كما سبق في (كساء وقضاء) هذا الضرب من الإبدال قد كثر سماعه، بخلاف حكم الواو الزائدة التي حُققت في أغلب ورودها قياساً بالياء لأنها أختها، فإن الهمزة في (صحراء وخنفساء)، أصلهما الواو يظهر ذلك من خلال النسبة إليهما فتقول: (خنفساوي وصحراوي)، فعاد الواو إلى مكانه الذي أبدل منه، أما كيف تحول إلى (خنفساء وصحراء) مثل تحول (كساء) في المثال السابق.

(د) إبدالها من الهاء:

ومن ذلك قولهم "آل" كقولنا آل الله وآل رسوله، إنما أصلها أهل ثم أبدلت الهاء همزة فصارت في التقدير"أأل" فلّما توالت الهمزتان أبدلوا الثانية ألفا" (ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص92–98).

إن الهاء الواقعة بعد الهمزة في كلمة أهل أبدلت همزة، لأنه لم يثبت قلبها ألفاً بل ثبت قلبها همزة، فالحمل عليه أولى، وقيل إن "ألا" في التخصيص "هلاّ". فأصله أهل ثم صار "أأل" بقلب الهاء همزة ثم آل بقلب الهمزة ألفاً (ابن الحاجب شرح الشافية، ج3، ص208)، فآل أصلها أهل أبدلت الهاء همزة فأصبح "أأل" فالتقى همزتان كما في آدم فأبدلت الثانية ألفاً فصارت "أآل" وأدغمت فيه فصارت "آل".

(هـ) إبدالها من العين:

وأما إبدالها من العين فقيل يأتي على وزن فُعال، كـ (عَبَاب) وأصله أباب فالعين بدل من الهمزة.

يقول ابن جني: "وإن قلت إنها بدل منها فهو وجه ليس بالقوي زيادة الهمزة "فليست الهمزة فيه بدلا من عين عباب وإن كان بمعناه فهو فعال من أَبَّ" (ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص107)، نحو قول الأصمعي:

وَمَاجَ سَاعَات مَلاَ الْوَدِيْقِ *** أُبَابُ بَحْرٍ ضَاحِكٍ هَرْوَقِ

فيرى أنها ليست من عباب بالعين وإنما أصلها من أَبَّ بالهمزة، ومعناه تهيأ البحر بما يزخر به فلهذا كانت الهمزة أصلاً غير بدل من العين، وعلى هذا فإن ابن أبي مريم يرى ما عرضناه من مشهور كلامهم.

الخاتمة:

تبيّن من خلال هذه الدراسة أن التراث اللغوي العربي سيما الذي ارتبط بالقراءات القرآنية، قدّم تصورًا عميقًا ودقيقًا للظواهر الصوتية، يقترب في كثير من أبعاده من التصورات الحديثة في علم الأصوات. فقد شكّلت ظاهرة الهمزة نموذجًا ثريًا للكشف عن التفاعل بين البنية الصوتية للنص القرآني ومراعاة التيسير في الأداء، وهو ما تجلّى في تنوع أوجه التحقيق والتخفيف والحذف والإبدال.

وقد أظهر تحليل كتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها للإمام نصر بن علي ابن أبي مريم أن توجيه القراءات لم يكن قائمًا على النقل المجرد فحسب، بل كان مؤسسًا على تعليل صوتي ولغوي دقيق، يراعي خصائص الجهاز النطقي، وقوانين التخفيف، ومقتضيات السياق الصوتي. كما أن هذه التوجيهات تعكس وعيًا مبكرًا بمفاهيم يمكن ربطها اليوم بمصطلحات علم الأصوات والفونولوجيا، مما يؤكد أصالة الدرس الصوتي في التراث العربي.

وعليه، فإن دراسة الهمزة في ضوء القراءات القرآنية لا تُسهم فقط في فهم الأداء القرآني، بل تفتح آفاقًا لإعادة قراءة التراث اللغوي العربي بمنهج حديث يربط بين الأصالة والمعاصرة، ويُبرز التكامل بين المعطى التراثي والنظرية اللسانية الحديثة.

النتائج:

- أثبتت الدراسة أن ظاهرة الهمزة في العربية تُعد من أكثر الظواهر الصوتية تعقيدًا، لما تتسم به من تنوع في صور الأداء بين التحقيق والتخفيف والحذف والإبدال.
- كشفت الدراسة أن القراءات القرآنية تمثل تطبيقًا عمليًا حيًّا لقوانين صوتية دقيقة، تراعي التيسير والانسجام الصوتي.

- أظهر تحليل كتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها أن التعليل عند ابن أبي مريم يقوم على أسس صوتية ولغوية، وليس مجرد توجيه نقلي.
- تبين وجود تقاطع واضح بين ما قرره علماء القراءات القدامى وبين ما تقرره النظريات الحديثة في علم الأصوات والفونولوجيا.
- أكدت الدراسة أن ظاهرة تخفيف الهمزة تمثل مظهرًا من مظاهر الاقتصاد اللغوي والتيسير في النطق، بما يتناسب مع طبيعة الاستعمال اللغوي.
- أبرزت الدراسة أن التوجيه القرآني للظواهر الصوتية يسهم في حفظ النظام الصوتي للغة العربية ويعزز استمراريته.

التوصيات:

- ضرورة توسيع الدراسات التي تربط بين القراءات القرآنية والنظريات الحديثة في اللسانيات، خاصة في المجال الصوتي.
- العناية بإعادة تحقيق كتب القراءات، ومنها كتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، وفق مناهج علمية حديثة مع دراستها تحليلًا صوتيًا دقيقًا.
- إدماج نتائج الدراسات الصوتية التراثية في مناهج تعليم اللغة العربية، لربط الطلاب بالأصالة العلمية للغة.
- تشجيع الدراسات المقارنة بين الظواهر الصوتية في العربية وغيرها من اللغات، لإبراز الخصائص المميزة للنظام الصوتي العربي.
- توظيف التقنيات الحديثة (كالتحليل الصوتي الرقمي) في دراسة الأداء القرآني، خاصة فيما يتعلق بظاهرة الهمزة.
- الدعوة إلى إنشاء قواعد بيانات صوتية للقراءات القرآنية، تسهم في خدمة الباحثين في مجالي علم الأصوات والفونولوجيا.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن أبي مريم، نصر بن علي. (1993). الموضح في وجوه القراءات وعللها، (تحقيق: عمر حمدان الكبيسي). جدة: الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم.
- ابن الجزري، محمد بن محمد. (1955). النشر في القراءات العشر، (مراجعة: محمد علي الضباع). بيروت: دار الفكر.
- ابن الحاجب، عثمان بن عمر. (1995). الشافية في علم التصريف، (تحقيق: حسن أحمد العثمان). مكة المكرمة: (د.ن).

- ابن جني، عثمان بن جني. (1993). سر صناعة الإعراب، (تحقيق: حسن هنداوي) (ط2). بيروت: دار القلم.
- ابن فارس، أحمد بن فارس. (1964). الصاحبي في فقه اللغة، (تحقيق: أحمد صقر). بيروت: مؤسسة بدران للطباعة والنشر.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (د.ت). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. (2011). البحر المحيط في التفسير. بيروت: دار الفكر.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث. (د.ت). سنن أبي داود. بيروت: دار الكتاب العربي.
- الإستراباذي، محمد بن الحسن. (1975). شرح شافية ابن الحاجب (تحقيق: محمد نور الحسن وآخرون). بيروت: دار الكتب العلمية.
- أنيس، إبراهيم. (1987). الأصوات اللغوية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- برجشتراسر، يوهان. (1929). التطور النحوي للغة العربية. القاهرة: مطبعة السماح.
- الجريسي، محمد مكي نصر. (2011). نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد. بيروت: دار الكتب العلمية.
- حسان، تمام. (د.ت). اللغة العربية: مبناها ومعناها. القاهرة: دار الثقافة.
- الداني، عثمان بن سعيد. (2000). التحديد في الإتقان والتجويد، (تحقيق: غانم قدوري الحمد). عمان: دار عمار.
- السجستاني، سليمان بن الأشعث. (د.ت). سنن أبي داود. بيروت: دار الكتاب العربي.
- سلامة، زيدان محمود. (1991). المرشد في علم التجويد. عمان: دار الفرقان.
- سويد، عبد الله عبد الحميد. (2005). المحتسب: دراسة لسانية تحليلية في ضوء علم الصوتيات. (د.ن).
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (د.ت). المزهر في علوم اللغة وأنواعها. بيروت: دار الجيل.
- شاهين، عبد الصبور. (د.ت). القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الطبري، محمد بن جرير. (1988). جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (تحقيق: محمود محمد شاكر وآخرون). القاهرة: دار المعارف.
- العكبري، عبد الله بن الحسين. (1993). إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات (تحقيق: إبراهيم عوض). القاهرة: دار الحديث.

- العكبري، عبد الله بن الحسين. (د.ت). التبيان في إعراب القرآن، (تحقيق: علي محمد البجاوي). القاهرة: إحياء الكتب العربية.
- القيسي، مكي بن أبي طالب. (1987). الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، (تحقيق: محيي الدين رمضان) (ط4). بيروت: مؤسسة الرسالة.
- مجاهد، أحمد بن موسى. (1400هـ). السبعة في القراءات، (تحقيق: شوقي ضيف) (ط2). القاهرة: دار المعارف.